محبة القائد للأفراد
وأثرها في بناء الفرد والمجتمع
في السنة النبوية

The leader's love for individuals
And its impact on building the individual
and society in the Prophetic Sunna

إعداد الدكتورة

منيرة بنت هشبل بن شافي القحطاني

Munira bint Hashbel ben Shafi AlQahtani

أستاذ الحديث وعلومه المشارك بكلية الآداب

جامعة الملك فيصل ، المملكة العربية السعودية

محبة القائد للأفراد
وأثرها في بناء الفرد والمجتمع في السنة النبوية

منيرة بنت هشبل بن شافي القحطاني
قسم الحديث وعلومه ، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل ، بالمملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: mualqhtani@kfu.edu.sa

الملخص :

إن القادة في جميع المجالات يسعون إلى جذب الكفاءات من الأفراد وإخضاعهم للقوانين، واستثمار طاقاتهم في نجاح مؤسساتهم أو مجالات قيادتهم وضمان ولائهم وانتمائهم لها، وذلك لا يتأتى إلا بكسب قلب الفرد واحترامه.

لذا لم تكتف القيادات بالاهتمام بالمهارات الصلبة فقط كالمؤهلات والمهارات المحسوسة، بل توجهت للاهتمام بالجانب الأهم، وهو الجانب غير المُحَسّ وهو ما يعرف بالمهارات الناعمة كالقدرة على التواصل والذكاء العاطفي ونحوهما.

وقد كان هذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في بناء دولته وقيادة أمته، فالنبي صلى الله عليه وسلم يملك المهارات والمقومات الشخصية لإنجاح دعوته؛ لكن كان يحتاج إلى الموارد البشرية والمالية، ومع ذلك استطاع في وقت قصير جدا أن يقود الناس إلى التغيير والازدهار في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والحضارية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية، ومن أساليبه التي ساعدته على ذلك القيادة بالمَحَبَّة؛ لذا جاء هذا البحث الموسوم بـ "محبة القائد للأفراد وأثرها في بناء الفرد والمجتمع في السنة النبوية" وتتجلى أهمية هذا البحث في: معرفة أسلوب من أساليب القيادة الناجحة، بذكر التطبيقات الدالة على ذلك من الأحاديث النبوية الثابتة، وبيان مظاهر القيادة بالمَحَبَّة في السنة النبوية، والأثر العظيم المترتب على انتهاج هذا الأسلوب على الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: القيادة، المحبة، السيرة النبوية، الصحبة، العلاقات الإنسانية.

The leader's love for individuals

And its impact on building the individual and society in the Prophetic Sunna

Munira bint Hashbel ben Shafi AlQahtani

Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Arts, King Faisal University, Kingdom Saudi Arabia

Email: mualqhtani@kfu.edu.sa

Abstract:

Leaders in all fields seek to attract qualified individuals, subject them to laws, invest their energies in the success of their institutions or areas of leadership, and ensure their loyalty and belonging to them, and this can only be achieved by winning the heart and respect of the individual.

Therefore, the leaders were not satisfied with paying attention to hard skills only, such as qualifications and tangible skills, but rather paid attention to the most important aspect, which is the intangible aspect, which is known as soft skills such as the ability to communicate, emotional intelligence, and so on.

This was the approach of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, in building his state and leading his people. but he needed human and financial resources, yet he was able, in a very short time, to lead people to change and prosperity in all aspects of social, civilized, political, economic, and moral life, and among his methods that helped him in that were leadership by love; Therefore, this research was entitled "The leader's love for individuals "and its impact on building the individual and society in the Sunna

of the Prophet." And the great impact of adopting this method on the individual and society.

Keywords : Leadership, Love, Biography of the Prophet, Companionship, Human relations.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل الله فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد، فإن القادة في جميع المجالات يسعون إلى جذب الكفاءات من الأفراد وإخضاعهم للقوانين، واستثمار طاقاتهم في نجاح مؤسساتهم أو مجالات قيادتهم وضمان ولائهم وانتمائهم لها، وذلك لا يتأتى إلا بكسب قلب الفرد واحترامه.

لذا لم تكتف القيادات بالاهتمام بالمهارات الصلبة للأفراد فقط كالمؤهلات والمهارات المحسوسة بل توجهت إلى لاهتمام بالجانب الأهم، وهو الجانب غير المحسوس وهو ما يعرف بالمهارات الناعمة كالقدرة على التواصل والذكاء العاطفي ونحوهما.

وقد كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في بناء دولته وقيادة أمته، فالنبي صلى الله عليه وسلم يملك المهارات والمقومات الشخصية لإنجاح دعوته؛ لكن كان يحتاج إلى الموارد البشرية والمالية، ومع ذلك استطاع في وقت قصير جدا أن يقود الناس إلى التغيير والازدهار في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والحضارية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية.

ومن أساليبه التي ساعدته على ذلك القيادة بالحب؛ لذا جاء هذا البحث الموسوم بـ "محبة القائد للأفراد وأثرها في بناء الفرد والمجتمع في السنة النبوية ".

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في:

١- ضرورة التعرف على أساليب القيادة الناجحة من خلال الإرث النبوي.

٢- بيان محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأفراد أمته بذكر الشواهد الصحيحة على ذلك.
٣- الاستفادة من نجاح النبي صلى الله عليه وسلم في قيادته الناجحة لأمته.
٤- الأثر العظيم لمحبة القائد للأفراد على المجتمع.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتلخص مشكلة البحث في تعريف محبة القائد للأفراد واستخراج النصوص الدالة على هذه المحبة من السنة النبوية.

ويتفرع عن هذه المشكلة التساؤلات التالية:

١- ما مفهوم محبة القائد للأفراد؟
٢- ما مظاهر محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأفراد أمته في السنة النبوية؟
٣- ما ضوابط محبة القائد للأفراد في السنة النبوية؟
٤- ما أثر محبة القائد للأفراد في بناء المجتمع؟

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي في كتب السنة النبوية لاستخراج الأحاديث المقبولة الدالة على محبة النبي ﷺ للأفراد من صحابته، وتناولها كوحدة موضوعية، ثم وظفت أقوال أهل العلم في توضيح الشاهد من الأحاديث.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة أفردت محبة القائد للأفراد في السنة النبوية ببحث موضوعي.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع ومشكلة البحث وتساؤلاته، ومنهج البحث، ومحتواه، وأما التمهيد ففيه التعريف بمصطلحي المحبة والقيادة.

المبحث الأول: مظاهر محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مظاهر مباشرة.
المطلب الثاني: مظاهر شبه مباشرة.
المبحث الثاني: ضوابط المحبة وأثرها في بناء المجتمع وفيه مطلبان.
المطلب الأول: ضوابط المَحَبَّة في الإسلام.
المطلب الثاني: أثر المَحَبَّة في بناء الفرد والمجتمع.
ثم الخاتمة وفيها عرض مختصر لأهم نتائج البحث.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحي المحبة والقيادة.

اولاً: تعريف المَحَبَّة.

فى اللغةً: المَحَبَّة: مصدر ميميّ من حبَّ، والحُبّ نقيضُ البُغْض.

وأصل هذه المادة يدلُّ على اللُّزوم وَالثَّبات، واشتقاقه من أَحَبَّه إذا لزمه، تقول: أحبَبْتُ الشَّيْء فَأنا مُحبٌّ وَهو مُحَبّ، والتحبُّب اظهار الحُبّ، ومنه ما جاء في الحديث النبوي: كان زيد بن حارثة رضي الله عنه حِبّ رسول الله ﷺ [(١)] _أي محبوبه_ [(٢)].

اصطلاحًا: المحبة الميل إلى الشَّيء السار وإلى ما تظنه النفس خيرا. [(٣)]

ومنشأ الحب عند الإنسان مختلف؛ فمنه اللذة كحب المأكل وحب الصور الجميلة، وحب التأثر كحب المعاني الشريفة وحب الصالحين وأهل المعروف، وحب العرفان كحب الوالدين وحب من أسدى معروفا له.

والمحبة مراتب: **أوَّلها:** العلاقة، وسمِّيت علاقةً لتعلُّق القلب بالمحبوب، قال الشاعر:

أَعَلَاقَةً أُمَّ الْوَلِيدِ بُعَيْدَ مَا أَفْنَانُ رَأْسِكِ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ. [(٤)]

وآخرها: مرتبة الخلَّة الَّتي انفرد بها الخليلان، إبراهيم عليه السلام ونبينا ﷺ، كَمَا صح عنه أنه قَال: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» [(٥)] [(٦)].

ولقد ورد لفظ (الحُبّ) في القرآن الكريم **خمسًا وعشرين** مرة بصيغ مختلفة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفع إلى السلطان، رقم (٦٧٨٨) جزء من حديث.

(٢) تهذيب اللغة (٨/٤)، مقاييس اللغة (٢٦/٢)، لسان العرب (٢٩٠/١)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٣٤).

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، (ص: ١٥١)، الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص: ٢٥٦).

(٤) هذا البيت للشاعر المُرّار الفَقعَسي، ينظر: الكامل في اللغة والأدب (٢٦٩/١).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٩) رقم (٤٠١٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي في (التلخيص): على شرط البخاري ومسلم.

(٦) ينظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٩-٣٢).

كما جاء الحُبّ في القرآن الكريم على صور عِدَّة، منها: **حب الله للإنسان** وهو أعلى مراتب الحُبّ في الوجود؛ لأن الله -تعالى- عظيم الحُبّ لعباده و**حب الإنسان لله:** وهو أسمى أنواع الحُبّ؛ فالمؤمن يدرك فضل الله عليه وعظمته وقدرته، وأنه خالقه ومالكه والمنعم عليه؛ فيحبه فوق كل حب؛ لذا قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾[١]، و**حب الإنسان للإنسان،** يقول الله -عزَّ وجَلَّ-: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[٢]. وذلك أن الله لم يذكر محبة المهاجرين للأنصار؛ لأنهم المحتاجون، ولقد تفضل عليهم الأنصار بأموالهم، وشاركوهم بيوتهم فمن الطبيعي أن يحبوهم، لكن ذكر محبة الأنصار للمهاجرين؛ لأنها أبلغ، فهي تدل على الحُبّ في الله تعالى، و**حب الإنسان للماديات،** وهذا أمر فطري في الإنسان، قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**﴾[٣].

ثانيًا: تعريف القيادة:

في اللغة: قادَ يَقُود، قُدْ، قَوْدًا وقيادًا وقِيادَةً، فهو قائِد، وَقَادَ الْأَمِيرُ الْجَيْشَ قِيَادَةً فَهُوَ قَائِدٌ وَجَمْعُهُ قَادَةٌ وَقُوَّادٌ[٤]

والقائد هو زعيم أو شخص يقود مَنْ دونه.[٥]

اصطلاحا: مزيج من الصفات التي تمكن من يحوزها من تحقيق شيء ما عن طريق تأثيره في الآخرين، وجعلهم راغبين في أدائه.[٦]

(١) البقرة: ١٦٥.
(٢) الحشر: ٩.
(٣) آل عمران: ١٤.
(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥١٨) .
(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٨٦٨) .
(٦) أنماط القيادة في بعض المؤسسات (ص ١٧) .

فليست مهارة القائد في فرض آرائه الشخصية على أفراد مجموعته حتى ينقادوا له، بل في معرفته بكيفية الربط بين الإدارات المختلفة، وأن يجعل منها قوة، وأن يقدر على التنسيق بين الأفراد، وشحذ هممهم لبلوغ الهدف.

المبحث الأول
مظاهر محبة النبي ﷺ لأصحابه

المطلب الأول: مظاهر مباشرة:

أولاً: التصريح بالمحبة.

كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يصرح بحبه لأصحابه صغارا وكبارا بألفاظ صريحة وبعبارات رقيقة منتهزاً أي فرصة لذلك فقد صرح بمحبة الأنصار جميعا وقد عقد البخاري في صحيحه بابا قال فيه (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: " أنتم أحب الناس إلي" ثم ساق الحديث بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ – قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ– مِنْ عُرُسٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْثِلًا فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ** ».[(١)]

وكما في حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**». **فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ. فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ؛ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**.[(٢)]

ما أعظمه من موقف تتجلى فيه العلاقات الإنسانية في أرقى مستوياتها بين القائد والفرد في موقف تعليمي رائع، فالنبي ﷺ يريد تعليم معاذ كلمات جامعة يدعو بها ربه، فلم يجد أفضل من التعبير عن حبّه لمعاذ عند استفتاح حديثه معه؛ ليجمع بذلك قلب معاذ كي يزداد شوقًا إلى ما سيهديه إليه هذا المحب؛ فيستقر في ذهنه وقلبه ما سيقوله له.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: قول النبي ﷺ أنتم أحب الناس إلي رقم (٣٧٨٥)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار رقم (١٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب فضائل القرآن، باب: في الاستغفار رقم (١٥٢٢) والحاكم في مستدركه (٣/ ٣٠٧) رقم (٥١٩٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. و وافقه الذهبي، وصحح شعيب الأرنؤوط إسناد أبي داوود.

ولم يكتفِ وهو الصادق المصدوق بلفظ «إني أحبك»، بل أقسم بالله على حبه لمعاذ تأكيدًا منه لذلك، فلم يجد معاذ ردًّا مناسبًا ولائقًا لهذه المشاعر الجياشة إلا أن يبادل هذا الحُبّ بحبٍّ مثله حيث قال: (وأنا أحبُّك).

عندما بدأ النبي ﷺ بِطَرْق باب الحُبّ في الله ليلفت انتباه معاذ وليعلمَه أنَّ هذه الوصيةَ صادرةٌ عن حُبٍّ له، وحرص لما يُصْلحه؛ أدرك معاذ ذلك؛ فأوصي بهذه الوصية من رواها عنه وهو الصَّنَابِحيُّ، وأوصي بها الصنابحي مَنْ رواها عنه، وهو أبو عبد الرحمن، وأوصي بها أبو عبدالرحمن من رواها عنه، وهو عُقْبة بن مُسْلم–الراوي الثالث في سلسلة هذا الحديث–وسمي هذا الحديث بالمسلسل بالمَحَبَّة(١).

والحديث يدل على أنه يستحب لمن أحب شخصًا أن يظهر له ذلك؛ لأنه أدعى للمحبة والمودة فالنبي ﷺ يقول في حديث آخر: «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ**».(٢)

قال المناوي:" فليخبره بمحبته له ندبا، بأن يقول أني أحبك في الله إي لا لغيره من إحسان أو غيره، فإنه أبقى للألفة وأثبت للمودة وبه يتزايد الحب ويتضاعف ".(٣)

وقال الشيخ ابن عثيمين:" وذلك لما في هذه الكلمة من إلقاء المحبة في قلبه لأن الإنسان إذا علم أنك تحبه أحبك".(٤)

ومحبة النبي ﷺ شملت الأنصار رجالًا ونساء صغارًا وكبارًا؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدُفِّهِنَّ، وَيَتَغَنَّيْنَ، وَيَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

---

(١) الحديث المسلسل هو: ما تتابع فيه رجال الإسناد وتواردوا فيه واحدًا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة. علوم الحديث (ص ٢٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد، باب: ما جاء في الحب رقم (٢٣٩٢) وقال: حسن صحيح.

(٣) فيض القدير للمناوي (١/ ٢٤٧).

(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٢٦٦).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَأُحِبُّكُنَّ**».(١)

ففي هذه الأحاديث وأمثالها يعطي النبي ﷺ مثالًا حيًّا للقائد المحبّ، والمربّي المحبّ، والمعلم المحبّ، والصاحب المحبّ لصاحبه، واضعًا أمام كل قائد ومُرَبٍّ الأسس التي تبنى عليها العلاقات الإنسانية.

والحُبّ في مجال القيادة ليس ترفًا بل هو ضرورة مُلِحَّة خاصة في مجال العلاقات الإنسانية ومن ضمنها علاقة القائد بالأفراد؛ فهو الأساس الذي تبنى عليه سائر العلاقات السوية بين الناس.

وليحذر القائد من الحُبّ المشروط، ومعناه أن الفرد لن يحصل على حبّه إلا بشروط، مثل جعل الالتزام شرطًا لمحبته، أو الأدب أو الإنجاز ونحوها، بل يجعل حبه يشمل المميز والمقصّر والمسيء والمتطاول، فلا بد أن يبادل جميع أفراد مجموعته الحُبّ فيعطيهم الحُبّ بدون أن ينتظر منهم مقابلًا، ويعطيهم بدون أن يأخذ منهم، فالقائد عندما ينطلق من مساحات تفيض بالحُبّ مع الأفراد فإنهم يفاجئونه بأعظم مما يفوق تصوراته عنهم.

ثانيًا: التعبير بالخلجات والنظرات والحركات الدالة على المَحَبَّة.

كان النبي ﷺ يعطي كل واحد من جلسائه وأصحابه حقَّه من العناية والالتفات، حتى يظنّ كل واحد منهم أنه أحبُّ الناس إليه، كما في حديث جرير بن عبدالله رضى الله عنه، قال: "**مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي**".(٢)

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب الغناء والدف ح (١٨٩٩) بإسناد حسن ففيه هشام بن عمار وثمامة بن عبدالله كلاهما صدوق وباقي رجاله ثقات، وصحح شعيب الأرنؤوط الحديث لأن هشام بن عمار متابع فقد أخرجه الطبراني في "المعجم الصغير" رقم (٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار، باب: ذكر جابر بن عبد الله البجلي ﷺ رقم (٣٨٢٢)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل جرير بن عبد الله ﷺ رقم (٢٤٧٥).

إنَّ تبسُّم النبي ﷺ في وجه جرير ﷺ ولَّد في نفسه شعورًا جميلًا بأن النبي ﷺ يحبّه، لأنَّ الابتسامة تدل على الرضا والطمأنينه، وهي التي تعطي الانطباع الأول عند الآخر، إمَّا قَبُولًا وإمَّا رفضًا.

وقال عبدالله بن الحارث بن جزء -رضي الله عنه- : **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ** ﷺ [(١)]، فلم تكن ابتسامته ﷺ مُتَكَلَّفة، بل عادة لازمته في جميع أحواله.

ويقول ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ** »[(٢)]. أي أنك تؤجر على بشاشتك في وجه أخيك كما تؤجر على الصدقة، والتبسُّم والبشاشة من آثار أنوار القلوب، يقول تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**﴾ [(٣)].

الصدقة وصنائع المعروف ليست محصورة في بذل المال، بل تعددت وجوهها، وجُعل التبسم في وجوه الناس بابًا من أبوابها، فكما أن على الإنسان مجاهدة حب المال بالتصدُّق به، كذلك عليه أن يجاهد نفسه بالتبسم والطلاقة في وجوه الناس.

يقول التابعي الجليل سفيان بن عيينة: "البشاشة مصيدة المودة والبرُّ شيء هيّن: وجه طليق وكلام ليّن، وفيه رد للعالم الذي يصعِّر خدّه للناس كأنه معرض عنهم، وعلى العابد الذي يعبس وجهه، ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس، مستقذر لهم، أو غضبان عليهم".[(٤)]

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم رقم (٣٦٤٢) وقال حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث ليث بن سعد إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في صنائع المعروف رقم (١٩٥٦) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) عبس: ٣٨-٣٩.

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٣/ ٢٢٦).

فالابتسامة هي مصيدة الحب والمودة، وهي اللغة التي يعرفها جميع شعوب العالم من غير تكلف؛ لذا ينبغي على القائد أن يهتم بتنمية مهارات التواصل، وهي تشمل التواصل اللفظي الذي تستخدم فيه الكلمات المنطوقة والتواصل غير اللفظي الذي تستخدم فيه الإشارات والإيماءات، وهي ما يعرف حاليًّا بـ (لغة الجسد)، وهي التي تدعم التعبير الشفوي أو تقوم بدوره أحيانًا في دعم فكرة أو توصيل معلومة، أو توصيل إحساس.

وكان صلى الله عليه وسلم يعطي كل واحد من جلسائه وأصحابه حقه من العناية والالتفات حتى يظن كل واحد منهم أنه أحبُّ الناس إليه.

والقائد من أحوج الناس لذلك؛ لأنه متى ما أسر أفراد مؤسسته بلطفه وتبسمه لهم كان أجدى للتأثير فيهم، وأبلغ في كسب محبتهم واحترامهم.

وإذا أراد القائد أن يكون أكثر فعالية في التواصل فعليه أن يكون واعيا بتعابير وجهه وإشارات يديه التي تصاحب كلامه.

ثالثًا: اللمسة الحانية:

يتفاوت الناس في إدراك المشاعر والأحاسيس؛ فمنهم من تكفيه النظرة المُحِبَّة المشفقة في توصيل المَحَبَّة والاهتمام، ومنهم من يحتاج إلى يد حانية تتصل ببدنه ليشعر بقرب صاحبها وحنوه عليه؛ لذا نجد أن النبي ﷺ نوَّع في الوسائل المعبّرة عن حبّه وشفقته على أمته؛ إدراكًا منه لطبيعة البشر واختلافهم، ومن هذه الوسائل اللمسة الحانية؛ فكان ﷺ يلصق ركبتيه بركبتي محدّثه، ويضع يده على فخذيه أو منكبيه، كما كان -عليه الصلاة والسلام- يضرب بيده الشريفة على صدر من يخاطبه.

فها هو يمسك يد ابن مسعود ﷺ وهو يعلمه يقول ﷺ: «**عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ- التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ**».(١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان، باب: الأخذ باليد رقم (٦٢٦٥)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب: التشهد في الصلاة رقم (٤٠٢).

كما أمسك ﷺ بيد أبي سعيد بن الْمُعَلَّى في الحديث الذي يرويه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ وهو فِي الْمَسْجِدِ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**»، **وَفِي رِوَايَةٍ**: «**قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ**»، قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ**» ؟ فَقَالَ: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[(١)].

وقد يأخذ بمناكبهم عند إرشادهم لأمر مهم؛ فعن عبدالله بن عمر ﷺ أنه قال: أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» [(٢)].

وقد يضرب على صدورهم عند مدحهم، كما ضرب على صدر أبيّ بن كعب ليمدحه على ما علمه الله فيما رواه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»

قال: قلت: الله ورسوله أَعْلَمُ.

قال: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»

قال: قلت: ﴿**اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[(٣)].

قال: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر:" في هذا الحديث مسّ المعلّم أعضاء المتعلّم عند التعليم، والموعوظ عند الموعظة، وذلك للتأنيس والتنبيه، ولا يفعل ذلك غالبًا إلا بمن يميل إليه".[(٥)]

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب رقم (٤٤٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ:« كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» رقم (٦٤١٦).

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي رقم (٢٥٨).

(٥) فتح الباري (١١/ ٢٣٥).

وفي قول ابن حجر **(ولا يفعل ذلك غالبًا إلا بمن يميل إليه)**: تنبيه لطيف وهو أنه ليس كل الأنفس تميل للاتصال البدني، وأكبر دليل لذلك أنك تجد من أطفالك في البيت في سنيهم الأولى من إذا احتضنته ارتمى على صدرك وسلَّمك نفسه لتفيض عليه من حنانك وقبلاتك، ومنهم من إذا احتضنته أخذ يرفس بقدميه ويديه كالسمكة الخارجة من الماء، ولا يكف حتى تُطْلِقَه، فلكل نفس مفتاح خاص بها، ولكل نفس لغة من الحُبّ خاصة بها، فيوجد مَنْ مفتاح قلبه الكلمة الحانية والثناء والتعزيز، ويوجد من مفتاح قلبه الاتصال البدني واللمسة الحانية، ويوجد من يحتاج إلى الأعمال الخدمية؛ فكلما ساعدته وأخذت بيده ملكت قلبه، ويوجد من يميل إلى الهدايا والعطايا، وآخرون يميلون لتكريس الأوقات؛ فكلما أعطيتهم من وقتك بمجالسة ومكالمة ملكت شَغَافَ قلوبهم.

فهذا أبو جحيفة وهو طفل في العاشرة يأخذ بيد النبي ﷺ ويمسح بها على وجهه، يقول: **أخذت بيد النبي ﷺ فوضعتها على وجهي، فإذا هي أَبْرَدُ من الثلجِ، وأطيب رائحةً من المِسْكِ**[(١)].

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: **صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله وِلْدَانٌ فجعل يمسح خَدَّىْ أَحَدِهِم وَاحِدًا وَاحِدًا، قال: وأما أنا فمسح خَدِّى، قال: فوجدتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أو رِيحًا كأنما أَخْرَجَها مِنْ جُؤْنَةِ**[(٢)] **عَطَّارٍ**.[(٣)]

وطفل آخر في الخامسة أو السادسة من عمره، وهو رافع الْمُزَنِيِّ يقول: **إِنِّي يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ خُمَاسِيٌّ أَوْ سُدَاسِيٌّ، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَتَخَلَّلْتُ الرِّحَالَ حَتَّى أَقُومَ عِنْدَ رِكَابِ الْبَغْلَةِ، فَأَضْرِبُ بِيَدَيَّ كِلَيْهِمَا عَلَى رُكْبَتِهِ، فَمَسَحَتُ السَّاقَ حَتَّى بَلَغَتُ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ رقم (٣٥٥٣).
(٢) الجؤنة: سلة مستديرة من جلد يضع فيها العطار الطيب. المنصف لابن جنى شرح كتاب التصريف للمازني (ص٤٠٥).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب: طيب رائحة النبي ﷺ رقم (٢٣٢٩).

الْقَدَمَ، ثُمَّ أَدْخَلْتُ يَدِي بَيْنَ الرِّكَابِ وَالْقَدَمِ، وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيَّ السَّاعَةَ أَنِّي أَجِدُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى كَفِّي.(١)

ما الذي جرأ هذين الصبيين على أن يخترقا الجموع، ويزاحما الكبار لتلامس أيديهما جسد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ إنها الأخلاق العالية والطيبة المتناهية من المعلّم الرحيم، الذي فاض عليهم من عطفه وحلمه وحبّه؛ حتى بقي أثر هذا اللمسة في روحيهما زمنًا طويلًا.

ولعل أشهر موقف في إطار اعتماده صلى الله عليه وسلم على التعليم باللمسة الحانية ما حصل له مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا فمسح على صدره ودعا له قائلا : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.(٢)

يقول آلان مكجبنس-المؤلف والمعالج النفسي-: إن أكثر من نصف مليون من الألياف الحسية تتدفق من الجلد خلال الحبل الشوكي... وباعتباره نظامًا حسيًّا، فهو أعظم عضو في الجسم، فهذا هو السبب الرئيسي وراء كون اللمس الرقيق جزءًا من العلاج النفسي، فمن الممكن أن يحفز الناس المتعطشين إلى الحنان، وعندما يكون اللمس تعبيرًا صادقًا عن الحنان والحُبّ؛ فإنه يمكن أن يزيدك قربًا من الطرف الآخر أكثر مما تقدر عليه الآف الكلمات(٣).

ومما سبق نستنتج أن على القائد في هذا الباب:

-أن يشعر الأفراد بأهمية ما يقوله وخاصة إذا كان الأمر مهما؛ ليلقوا له اسماعهم وابصارهم وقلوبهم.

- الاقتراب من الفرد لشد انتباهه ولزيادة يقظته وخاصة إذا صاحب هذا القرب لمسة حانية، مما يسهم في فهمه، وتذكره لما يقال له في هذه الحالة.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى كتاب المناسك، باب: وقت الخطبة يوم النحر رقم (٤٠٧٩)، والروياني في مسنده رقم (٩٥١) (١٣٠/٢)، والطبراني في المعجم الكبير رقم (٤٤٥٨) (١٨/٥)، وأخرج شطره الأول أبو داود في سننه كتاب الحج، باب: أي وقت يخطب يوم النحر رقم (١٩٦٥) صحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم (٢٢٢١١) صحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

(٣) ذكره أحمد توفيق حجازي في كتابه (في حب الكلمة الطيبة)، (ص ١٠٢-١٠٣).

– ألا يكون هذا الأسلوب عادة مستمرة له في القيادة، بل إن استخدامها بحسب الموقف والحاجة إليها، خلاف الابتسامة التي ينبغي أن ترافق القائد خارج إدارته وداخلها.

رابعًا: إشعارهم بأبوّته.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم لفظ **(يا بني)** في حديثه معهم مظهرًا به شفقته ورحمته؛ فهذا المغيرة ابن شعبة يسأله عن الدجال فيقول له: **«أَيْ بُنَيَّ وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ» قَالَ قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْزِ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ»** (١).

فقد كان يعاملهم كالأب لهم الكبير منهم والصغير، حتى إنه كان يقول لهم فيما رواه أبو هريرة عنه ﷺ: **«إنَّما أنا لكم بمنزلةِ الوالدِ أُعلِّمُكُم، فإذا أتى أحدُكُمُ الغائطَ فلا يَستَقبِلِ القبلَةَ، ولا يَستَدبِرْها، ولا يَستَطِبْ بيمينِهِ»، وكان يأمُرُ بثلاثةِ أحجارٍ، وينهى عن الرَّوْثِ والرِّمَّة.** (٢)

قال المناوي: **(إنما أنا لكم)** اللام للأجل أي لأجلكم (بمنزلة الوالد) في الشفقة والحنو لا في الرتبة والعلو، وفي تعليم ما لا بد منه فكما يعلم الأب ولده الأدب فأنا **(أعلمكم)** ما لكم وعليكم، وأبو الإفادة أقوى من أبي الولادة، وهو الذي أنقذنا الله به من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان. (٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الفتن، باب: ذكر الدجال حديث رقم (٧١٢٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الدجال وهو أهون على الله عز وجل رقم (٢١٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة، باب: كراهية استقبال القبلة عند الحاجة رقم (٨)، وابن ماجه في سننه كتاب الطهارة، باب: كراهية مس الذكر باليمين رقم (٣١٣) قوى إسناده شعيب الأرنؤوط.

(٣) فيض القدير (٢ /٥٧٠).

قال الخطابي: قوله (إنمّا أنا لكم بمنزلة الوالد) كلام بسط وتأنيس للمخاطبين لئلا يحتشموه ولا يستحيوا عن مسألته فيما يعرض لهم من أمر دينهم كما لا يستحي الولد عن مسألة الوالد فيما عنّ وعرض له من أمر. (١)

حتى الكبار استشعروا هذه الأبوة فهذا عمُّه العباس يُسأل: أيكما أكبر؟! فإذا به يقول: رسول الله ﷺ أكبر، وأنا وُلِدْت قبله»!(٢)

وكان ﷺ أرأف بأُمّته من الوالد الشفيق بأولاده؛ لذا على كل قائد أن يقتدي به فيعامل من معه معاملة الأب المشفق المحب؛ فيحنو عليهم ويحرص على ما يصلحهم ويسهم في رفعتهم.

كما أن في استخدام كلمة (يا بني) آثارًا عظيمة في نفس من تقال له:

- كسب ثقتهم فيرون في لطفه معهم رحمةً، وفي شدته عليهم حرصًا.
- أنه أدعى لقَبُول ما يأمرهم به وما يعلمهم إياه.
- زيادة تقديرهم وتبجيلهم له.
- إزالة الوحشة من نفوسهم، وزيادة الألفة بينهم.
- إزالة التردد الناتج من الاحتشام الزائد.

خامسًا: استخدامه لألفاظ الأخوة والصحبة.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**»(٣).

وكان لا يناديهم إلا بلفظ أصحابي؛ فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أَنْتُمْ**

(١) معالم السنن للخطابي (١/ ١٤)·

(٢) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٣٩٢١)، المستدرك على الصحيحين رقم (٥٣٩٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٠) رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ: " لو كنت متخذا خليلا" رقم (٣٦٥٦)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي بكر الصديق رقم (٢٣٨٣).

أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**»[(١)].

وساد هذان اللفظان بين أصحابه، فإذا تحدّث أحد منهم عن صحابي آخر قال صاحبي أو أخي، وإذا تحدّث عن جماعة قال أصحابي أو إخواني، فسادت المَحَبَّة والتقدير بينهم، وهذا ما تعلَّموه من معلّمهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم.

سادسًا: تغليف الكلمات القاسية بعبارات المَحَبَّة.

يقول تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[(٢)]، ويقول تعالى: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾[(٣)].

فقد كان النبي ﷺ يبتعد عن فحش القول، ويحرص على الطيب من القول في النصح والإرشاد فيقول ﷺ موجّهًا عبد الله بن عمر لفضل قيام الليل –لما علم تقصيره في قيام الليل–: «**نِعْمَ الرجلُ عبدُاللهِ بنُ عمرَ لوْ كانَ يقومُ مِنَ الليلِ**»[(٤)]. وحتى في الرفض أوفي الإنكار أو العتاب، ومنه ما حدث مع أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه وأرضاه– حينما طلب منه أن يستعمله –يجعله واليًا– فرفض طلبه برفق ونصحه باجتناب الولاية؛ نظرًا لما لمسه فيه من ضعف يحول بينه وبين القيام بمهمته أحسن قيام. قال عليه الصلاة والسلام: «**يا أبا ذر إني**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة، باب: اطالة الغرة والتحجيل في الوضوء رقم (٢٤٩).

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) الحج:٢٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد، باب: فضل قيام الليل رقم (١١٢١، ٣٧٣٨)، ومسلم رقم (٢٤٧٩).

أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأَمَّرن على اثنين، ولا تَوَلِيَنَّ على يتيم»[(١)].

كلمة **(ضعيف)** كلمة صعبة إذا قيلت لأي إنسان فما بالك إذا كان هذا الإنسان رجلًا وليس كأي رجل! لكن الكلمة لا بد أن تقال هنا لتوضيح سبب الرفض، ومع ذلك غلفها النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بالحُبّ **(فأخذ بمنكبة)** أي لامس جسده ليشعره بقربه وحبه له، ثم ثنى بقوله: **(وإني أحب لك ما أحب لنفسي)** أي أنت كنفسي أحب لك ما أحب لها فكما لا أحب أن أتولى أمرا لا أطيقه ولا أتقنه كذلك لا أحب ذلك لك.

فطابت نفس أبي ذر، وأدرك أن الكلمة لم تُقَل للتعيير ولا للانتقاص؛ فتقبلها لأن الدافع وراءها الحُبّ والرحمة والحرص على مصلحته.

يقول القرطبي في شرح قوله: (أراك ضعيفًا) أي ضعيفًا عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعاة مصالح رعيته الدنيوية والدينية، ووجه ضعفه عن ذلك أن الغالب على أبي ذر كان الزهد واحتقار الدنيا.[(٢)]

ويقول ﷺ لعمر –لما بلغه أنه يضايق الطائفين بالكعبة وخاصة المستلمين للحجر الأسود–: «**يا عمر، إنكَ رجلٌ قويٌّ فلا تزاحمنَّ عندَ الحجرِ**»[(٣)].

كان لكلمة **(نِعْمَ الرجل)** الأثر العظيم في نفس الشاب العازب الصغير؛ حيث قبل هذه النصيحة التي غيرت مجرى حياته؛ فهذا ابنه سالم يقول بعد روايته لهذا الحديث: كان بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا.

فالكلمة الطيبة تهيئ القلب لقَبول النصيحة والتوجيه فقوله لأبي ذر: **(وإني أحب لك ما أحب لنفسي)** وقوله لعمر: **(إنك رجل قوي)**، وقوله لابن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: كراهية الإمارة بغير ضرورة رقم (١٨٢٦).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٤/ ٢١).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٩٠) (١/ ٣٢١) قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، رجاله ثقات.

عمر: **(نعم الرجل)** هي كلمات جميلة تجعل الشخص يستسيغ مر الحقيقة فيقبل النصيحة، كما أنها تجمح عناد النفس ومكابرتها في قَبول النصيحة.

سابعًا: حثُّه ﷺ على نشر المَحَبَّة بينهم.

لم يكتفِ النبي ﷺ بأن يغدق عليهم محبته باللفظ واللحظ، ولا أن يسكب رحمته ورفقه عليهم، بل بين أنَّ حب المسلم لأخيه المسلم من كمال الإيمان؛ فيقول ﷺ: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**.[(١)]

ونهاهم عن كل ما يمكن أن يكون سببًا في تفشي الكره والبغضاء بينهم يقول ﷺ: **«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**[(٢)].

ثم أراد أن يكون الحُبّ منهجهم في الحياة، يقول النبي ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»**[(٣)].

وبيَّن لهم أنَّ هذه المَحَبَّة تكون في الله طاعة وتقرُّبًا له -عزَّ وجَلَّ- وليس من أجل مصلحة دنيوية يقول النبي ﷺ إنَّ الله -تعالى- يقول يوم القيامة: **«أَيْنَ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه رقم (١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، رقم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم (٥٤).

الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي».[1]، وقال – مادحًا المتحابين في الله–: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.**[2]

ثم حثَّهم على كل ما يمكن أن يكون سببًا لتقوية أواصر الحُبّ والألفة بينهم؛ فأمرهم بأن يهدي أحدهم للآخر، وأن يفشوا السلام بينهم، وأن يتعاونوا ويتزاوروا، وأن ينصح أحدهم للآخر، وغيرها الكثير من الآداب والأخلاق الرفيعة.

فلك أن تتخيل مؤسسة ربانها قائد أو أب أو معلّم رحيم محب يفيض على أفراده بالحُبّ والرفق، فيبتسم لهم باعثًا الأمن والسلام في نفوسهم ويحنو عليهم بيد تفيض رقة وحنانًا وحبًّا، ثم يسكب في أفئدتهم من رحيق المعرفة والتشجيع، فيشعل جذوة التطوير فيها، فتعلو هممهم، وينفتح بالحُبّ ما كان مغلقًا، ويسهل به ما كان صعبًا.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الحُبّ في الله، رقم (٢٥٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب: في الرهن رقم (٣٥٢٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد فيه انقطاع، وأخرجه أبو يعلى رقم (٦١١٠)، وابن حبان (٥٧٣)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

المطلب الثاني: مظاهر شبه مباشرة:

أولاً: كسر الحواجز النفسية بينه وبينهم:

كان النبي ﷺ يجلس وسط أصحابه وكأنه واحد منهم، ففي الحديث أنه دخل عليه أعرابي قال: أيكم محمد –ما عرفه–فقال بعض أصحابه: ذاك الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ، انظر إليه هو محمد.(١)

ألا ما أروع هذا الموقف وأعجبه!!

وأعظم من هذا الموقف وأروع منه، حديث قيس بن أبي حازم أَنَّ رَجُلا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**(٢)».(٣)

ومما يزيد هذا المعنى الرائع تأكيدًا يوم أعطى أمرًا لأصحابه في معركة بدر، أن يركب كل ثلاثة على راحلة، يتناوبون الراحلة، وقال: أنا وعليّ وأبو لبابة على راحلة، فركب عليه الصلاة والسلام، ولما جاء دوره في المسير، توسل صاحباه إليه أن يبقى راكبًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا**» (٤).

فقد كان ﷺ عبدًا ربانيًّا، يمشي بالأسواق، ويأكل مما تأكل أمته، ويعمل ويقوت نفسه، ويدير أموره بنفسه يقول ابن عباس رضي الله عنه واصفًا النبي ﷺ: «**وَيَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَعْقِلُ الشَّاةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ**» (٥).فلم يبن حواجزَ وأبوابًا تغلق بينه وبين أمته، سواء كانت حسية أو معنوية، بل عاملهم كنفوس بشرية مُكرَّمة، لا يجوز إهانتها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى ﴿**وقل ربي زدني علما**﴾ رقم (٦٣).

(٢) القديد هو اللحم المملح المجفف في الشمس. النهاية في غريب الحديث (٢٢/٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب: القديد رقم، (٣٣١٢) صحح إسناده شعيب الأرنؤوط.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (٣٩٦٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم (١٤٢٢) (٩/ ٢٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٠): إسناده حسن.

أو ظلمها أو التعدي على حقوقها، أو التقليل من شأنها وهذا ما جاء به القرآن الكريم قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

وهذا التكريم عامٌّ وشامل لكل نفس بدون استثناء لون أو جنس أو دين أو سن أو نوع، وهذه الرؤية الربانية للإنسانية ظهر أثرها في أقوال النبي ﷺ وأفعاله في تعامله الراقي مع كل البشر.

وإن ما نراه للأسف من بعض قادة هذا العصر من تكبر على الأفراد ومعاملتهم بتعالٍ وغرور بعيد كل البعد عن روح ديننا الكريم، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2] فهم للمؤمنين أذلة، من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم، ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم.[3]

والتكبُّر صفة مذمومة منهيٌّ عنها، قال تعالى:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[4]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ**».[5] في الحديث وعيد شديد وتحذير قوي من الكبر، وأنّ استشعار القليل منه كافٍ للمنع من دخول الجنة، والكبر من أعظم المدمرات للعلاقات الإنسانية لما يبعثه من الحقد والكراهية.

فإن الطلاب لا يحبّون المعلّم المتكبر المتغطرس؛ فلا يصدقونه مشاعرهم وأحاسيسهم، وما يواجهونه من صعوبات، مما يجعل الفائدة التي يحصلون عليها من مثل هذا المعلّم قليلة جدًّا.

وإنه مما يؤسف له أنه بلغ الحال ببعض القادة أن يجتهدوا في غرس الخوف في نفوس الأفراد؛ لأنه في نظرهم هو الطريق الوحيد لضبطهم والتحكم فيهم، شعار هؤلاء القادة دائمًا (من أمن العقوبة أساء الأدب)، يرى أنّ التلطُّف

(١) الإسراء:٧٠.
(٢) المائدة (آية: ٥٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (٢ / ٣٠٨).
(٤) لقمان (آية: ١٨).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ح (٩١).

مع الأفراد يجرّئهم عليه ويسقط مهابته في نفوسهم؛ فيسهم من غير وعي منه في بناء أسوار عالية بينه وبين أفراده، وقد يحقق معتقده هذا نتائج مع بعض الأفراد، لكنها نتائج سرعان ما تزول عندما تنتهي علاقتهم به، وكثيرًا ما يشتكي بعض القادة من هذا النوع من الأفراد الذين يظهر الواحد منهم احترامه له في أثناء قيادته لهم، وإذا انتهى تكليفه أظهر عدم احترامه وتقديره، فقد يمرّ بدون أن يسلّم، أو تدخل عليه وهو يتحدث فيكمل حديثه بصوت عالٍ غير مبالٍ بدخولك عليه، ومثل هذه المواقف نتاج طبيعي لعلاقة قامت على الخوف والتعالي، وغاب عنها الودّ والاحترام.

ثانيًا: مخالطتهم ومجالستهم.

كثيرًا ما كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يخالط أصحابه ويجالسهم ويجيب دعواتهم للطعام فعن أبي هريرة عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال **«لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»**.(١).

قال الحافظ: وفي الحديث دليل على حسن خلقه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتواضعه وجبره لقلوب الناس.(٢)

وقد ثبتت زيارته لهم في منازلهم وفي أسواقهم وبساتينهم، كما جاء عن ابن عباس: **«إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِي -أعالي المدينة-لِيَدْعُو رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بنصْفِ اللَّيْلِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ فَيُجِيبُه»**(٣)، وفي حديث آخر عنه قال- واصفًا النبي ﷺ: **«وَيَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَعْقِلُ الشَّاةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ»** (٤).

وهذا زيد بن ثابت يحدّث عن بعض أخلاق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول: **«كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ بَعَثَ إِلَيَّ فَآتِيهِ، فَأَكْتُبُ الْوَحْيَ، وَكُنَّا**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: من أجاب إلى كراع رقم (٥١٧٨).
(٢) فتح الباري (٩/ ٢٤٦).
(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم (٢٥٥) (١/ ٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٠): رجاله ثقات.
(٤) تقدم تخريجه.

إِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الْآخِرَةَ ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا». (١)

وإليك هذا المشهد والحوار الماتع الذي يكشف قرب النبي ﷺ من أصحابه وعمق العلاقات بينهم.

عن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْزِلِنَا

فقالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**».

قال: فرد سعد ردًّا خفيًّا.

قال قيس: فقلت: ألا تأذنُ لرسولِ اللهِ ﷺ.

فقال: ذَرْهُ يُكْثِرُ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامِ.

فقال رسول الله ﷺ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**».

فرد سعد ردًّا خفيًّا.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**».

ثم رجع رسول الله ﷺ واتبعه سعد فقال: يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمَك وأرد عليك ردًّا خفيًّا لتكثر علينا من السلام.

قال: فانصرف معه رسول الله ﷺ فأمر له سعد بغسل فاغتسل، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها(٢).

ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ**».

قَالَ: ثُمَّ أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ قَرَّبَ لَهُ سَعْدٌ حِمَارًا قَدْ وَطَّأَ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ، فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ سَعْدٌ: يَا قَيْسُ اصْحَبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ قَيْسٌ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَبَيْتُ.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم (٨٦٩٧) (٨/ ٣٠١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧): إسناده حسن.

(٢) الملحفة: اللباس الذي فوق سائر اللباس لسان العرب، لابن منظور (٣١٤/١٠)، نبت أصفر يصبغ به، لسان العرب (٢٥٤/٧)، والزعفران معروف، فيقال ثوب مزعفر أي: مصبوغ بالزعفران، تاج العروس (٢١/ ٨٣).

ثُمَّ قَالَ: «**إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ**».
قَالَ: فَانْصَرَفْتُ. (١)

وفي هذا الهدي النبوي رد على القائد الذي يترفع عن مخالطة الأفراد ظنًّا منه أن مخالطتهم قد تجعله يحابيهم أو يتغاضى عن أخطائهم، فالنبي ﷺ الذي عُرف بالرحمة واللين عُرف أيضا بالحزم والعدل.

ولقرب القائد من الأفراد ومشاركتهم الأكل والجلوس معهم في الأماكن المخصصة لذلك نتائج إيجابيه بأن:

- يجعله يقف على أرض الواقع في تقديره لطبيعتهم وقدراتهم واحتياجاتهم.
- يرشده للأسلوب الأمثل في التعامل معهم بما يناسب نفسياتهم وطريقة تفكيرهم.
- يساعده على إيجاد لغة للتواصل معهم؛ مما يجعل تأثيره مباشرًا على فكرهم وسلوكهم.
- يجعله على تواصل دائم معهم؛ فيكون قدوة لهم، وللقدوة تأثير كبير في تعديل السلوك.
- يتعرف على همومهم ومشكلاتهم فيسهم في حلِّها، أو على الأقل عرضها على المسئولين.
- يناقش معهم توجهاتهم؛ فيعزز الجيد منها ويسهم في نبذ غير الجيد منها.
- يسهم في إزالة الوحشة، وزيادة الألفة بينهم.

(١) أخرجه أبو داود (٥١٨٥) وأحمد (١٥٠٥٠) وقال ابن حجر في الفتح (١٧٠/١١): "سنده جيد" أ.هـ. وصحح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٢٥٦/٢)، وقال ابن كثير في تفسيره: (٣٧/٦):"جيد قوي".

ثالثًا: الاتّزان الانفعاليّ[1]:

إنَّ استقرار شخصية النبى ﷺ وثباته فى التعامل مع أصحابه بالود والمَحَبَّة بعيدًا عن الانفعال والغضب من أعظم الأشياء التى ساعدت على بناء جسور المَحَبَّة بينه وبين أصحابه الذين أسهموا بدورهم فى بناء دولة قوية مترابطة ازدهرت فى وقت قصير، وتطورت تطورا حضاريا ملفتا للنظر؛ فقد كان النبى ﷺ يحثُّ على ضبط النفس لعلمه بالآثار السلبية الناتجة من عدم تحكُّم الشخص فى انفعالاته، ومما يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[2]، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ**

(١) وهو كما عرَّفه علماء النفس:"القدرة علي التخلُّص من تباينات الانفعالات الشائعة في المزاج الوقتي، واكتساب الضبط الانفعالي الجيد؛ مما يساعد الفرد علي عدم الإفراط في الاستجابة للمواقف الانفعالية أو المثيرة للانفعال، والقدرة علي مواجهة التذبذبات الشديدة في المزاج".

ويقول وليد الزهراني –مختص الطب النفسي– مشيرًا إلى أن الشخص الذي يعيش بسعادة وتوازن نفسي مثالي يرفع من هرمون "الإندروفين" ما يظهر أثره بإيجابية في حياته من ناحية فسيولوجية؛ فتكون صحته الجسمانية جيدة، وتقلّ الأمراض وأعراض الشيخوخة، ومن ناحية نفسية يكون المزاج جميلًا ومرتفعًا، ويشعر بالسعادة دائمًا، وتقلّ الإصابة بالأمراض النفسية، مثل الاكتئاب والإحباط والتذمُّر، ويكون شخصًا متفائلًا ومنتجًا ومعطاءً، وتؤثر جودة حالته النفسية فيمن حوله؛ حيث يشعرون بالسعادة والتفاؤل، ويكون له دافعية عالية في الحياة". (منقول من مقال فهد القثامي، جريدة الاقتصادية العدد ٦٧٦٦، الجمعة ٢٨/ ٥/ ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠ إبريل ٢٠١٠.).

وتؤكد نتائج إحدى الدراسات التي نشرت في مجلة" ساينس إكسبريس" يوم الخميس ١٩ إبريل ٢٠١٠م ضرورة أن يتكيَّف الإنسان مع المعطيات المتغيرة في الحياة؛ ليظل سليمًا من الناحية العاطفية".

(٢) الصُّرَعةُ –بفتح الراء– الذي يصرع الرجال، والصرعة في الحديث هو: الحليم عند الغضب لأن حلمه يصرع غضبه. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٨٥)، لسان العرب (٨/ ١٩٨).

الغَضَبِ».[١] وفي الصحيح أن رجلًا قال للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أوصني، قال: " **لا تَغضَب** "، فَرَدَّد مِرارًا قال: «**لا تَغضَب**». [٢]

ويُعرّف الغضب بأنه: "انفعال مؤلم تصحبه تغيرات فسيولوجية، مثل: احمرار الوجه، وارتجاف الأطراف، واضطراب الحركة والكلام، وقد ترافقه سلوكيات خارجية مثل: السبّ، والضرب، والقتل والانتقام".[٣]

وكان -عليه الصلاة والسلام- مثالًا حيًّا لما يقوله ويأمر الناس به من ضبط النفس والهدوء في المواقف التي تستلزم الغضب، وتصرفه مع الأعرابي الذي جذب رداءه كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- خير مثال على ضبط الانفعال يقول أنس بن مالك ﷺ:**كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ**[٤]**، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.** [٥]

هل تعلم ما سبب تغاضي النبي ﷺ عن هذا الأعرابي وغيره الكثير ممن تطاول عليه وراجعه من المسلمين وغيرهم في مواقف كثيرة تستفز أشد الناس حلمًا وصبرًا؟ ضاربًا بذلك المثل الأعلى في الصبر على الناس عند قيادتهم نحو الخير والتميز.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم (٦١١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم (٢٦٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب رقم (٦١١٦).

(٣) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية (ص١٢).

(٤) حاشية الثوب، أي جوانبه من أي جهة، والغلظة هي الشدة والخشونة. ينظر: غريب الحديث، للحربي (١١٣٢/٣)، لسان العرب (٩/ ١٩٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب: البرود والحبرة والشملة، رقم (٥٨٠٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفحش وغلظة، رقم (١٠٥٧) عنه به.

الجواب هو أن النبي ﷺ كان ينظر إلى الهدف الأسمى والأعظم، وهو بناء أمة قويّة موحّدة متعلّمة قادرة على التفكير والمناقشة؛ فمن أجل ذلك لا يركز على أخطائها ومحاسبتها بقدر ما يركز على إصلاحها وتقويمها بطرق أكثر وأجدى تأثيرًا، وأيضا كان يتألف قلوبهم فمتى ما تمكن منها بدأ في تقويمها وإخضاعها لقوانين الدين وواجباته برفق ولين.

وضبط الانفعالات لا يعني نسيانها أو تغييرها، لكنه يعني الإدارة الجيدة لها؛ فإن هذا الاتزان في شخصية الرسول ﷺ منشؤه الإدارة الجيدة للذات؛ فقد وجه مشاعره وأفكاره وإمكانيته نحو الهدف الذي يطمح إلى تحقيقه، وهو تعليم الناس وهدايتهم.

فالنبى ﷺ تعرض للأذى النفسي والجسدي، كما كان له النصيب الأكبر من مصائب الدنيا؛ إذ فَقَدَ الكثير من أحبته وأصحابه، وحورب واتُّهِم في عقله وعرضه، كما عانى فَقْدَ بعض الحاجات الفسيولوجية الأساسية؛ فقد مات ولم يشبع من خبز الشعير، وكان لا يوقد في بيته نار للطبخ الشهر والشهرين، ومع ذلك حافظ على روحه الطيبة المُحِبَّة الرحيمة، ولم تزده هذه الصعاب إلا تهذيبًا لأخلاقه وسموًّا لنفسه؛ وذلك لأن النبي ﷺ جعل همَّ الدعوة إلى عبادة الله فوق أي أمر؛ فقدم مصلحة أمته على مصلحة نفسه، وهذا يخالف ما نراه من بعض المسلمين من تقلب في المزاج والأخلاق؛ فيكون تعامله مع الناس وفق حالته النفسية، فإذا تعرض لضغط خارجي ضغط من حوله، وإذا كان مهمومًا حمَّل من حوله همَّه بسوء أخلاقه، وهذا أشد خطرًا من المتجهم والغليظ والمتكبر دائمًا؛ لأن هذا واضح في تعامله مع الناس فأمنوا من مكره وغضبه.

كما ينبغي أن يكون الهدوء والصفاء والتوازن والبعد عن الانفعال من أهم صفات المعلم ونقصد بالهدوء الهدوء الناجم عن قوة وإرادة يصحبهما حسن الاستماع، واستيعاب الموقف، واتخاذ القرار المناسب، وليس الهدوء الناجم عن ضعف وبرود وعدم مبالاة.

وليبتعد المعلم من الصراخ والتهديد والوعيد؛ فإن الصراخ يدل عادة على الضعف والعجز؛ فهذا لقمان يوصي ابنه ويقول:﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[1].

يقول الزمخشري:" فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة–وإن جعلوا حميرًا وصوتهم نهاقًا–مبالغة شديدة في الذم والتهجين، وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه. وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان".[2]

رحم الله قائدا عرَفَ نفسه، وأدرك حاجاته وقدراته فإن عرَفَ أن حاجته إلى الطعام تؤثر على مزاجه، وأنّ السهر وقلة النوم تؤثر على نفسيته فلْيُلَبِّ تلك الحاجات، فالجوع والنوم ونحوها من الحاجات الأساسية التي يشترك فيها جميع البشر؛ فعلى كل قائد أن يحرص على تلبيتها قبل اتخاذ قراره.

أما العوامل الأخرى الخارجية التي لا يستطيع التحكم فيها كمرضه، أو مرض عزيز عليه، أو فَقْد صديق أو مشكلات أسرية أو ضغوط عمل، فإليه بعض الأمور التي تساعده على الثبات الانفعالي في مثل هذه الحالات:

١- ينبغي أن يعود القائد نفسه أن يفصل بين عمله وبيته، ويوطن نفسه على ذلك، وهذا يكون بالتدريب حتى تصبح له عادة.
٢- كما ينبغي أن يستشعر عظم الأمانة، وأن هؤلاء الأفراد أمانة بين يديه لا ذنب لهم إلا أنه هو من ولي أمرهم؛ فيجاهد نفسه ويحاسبها.
٣- ومن العوامل التي تبعد الإنسان من الوقوع في ذلك أن يكون عمله هوايته، بمعنى أن يجد في عمله راحة له من كل همّ، ولا ينظر إليه على أنه عبء من الأعباء، فمتى وصل لهذه المرحلة وجد نفسه ينفصل عن الكون وهمومه بمجرد أن يسلم على زملائه؛ لأنه يجد في العطاء سعادة، وفي بذل العلم راحة له من كل همّ أو كدر.

(١) لقمان (آية:١٩).
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤٩٨/٣).

٤- أن يمتلك القائد المرونة النفسية العالية، وهي لا تكون إلا إذا تقبّل الشخص أن هناك أشياء كثيرة في حياته خارج نطاق تحكمه وسيطرته، كمرض أو خسارة؛ فلا يضيع وقته في محاولة التحكم فيها.

٥- التخلُّص من الأفكار السلبية، كما يتخلص الإنسان من الأثقال المادية؛ فكما أن الأثقال تنهك الجسد كذلك الأفكار السلبية تنهك العقل والفكر، فالأفكار عمومًا كالنبات فحاول أن تسقي الإيجابي منها لينمو ويترعرع ويثمر، واقطع الماء عن الضار منها ليموت ويتلاشى.

٦- الاستيقاظ من النوم وابتداء اليوم بذكر الله -تعالى- وحمده وشكره أن مد في عمره بيوم جديد ثم الصلاة ثم الشروع في الأذكار الشرعية، وبعدها يتناول إفطاره ثم يبدأ بنفس مبتهجة راضية مطمئنة.

وإنَّ القادة والمربين القادرين على ضبط انفعالاتهم هم أصحاب الأنفس القوية الهادئة الرزينة لا يُسْتَفزون ولا يُثَارون، يملكون الحكمة والكياسة والفطنة، وأصحاب هذه الأنفس هم من يستحق أن يكون قائدًا ومعلّمًا ومربيًا، أما أصحاب الأنفس الهشة الضعيفة الذين لا يملكون القدرة على التماسك في المواقف البسيطة فضلًا عن الصعبة فمكانهم ليس الصفوف الأمامية؛ لأنهم يفتقرون إلى الحكمة والكياسة، وإلى أدنى مهارات التأثير التي هي من أهم صفات المعلم.

رابعًا: حسن استقبالهم والترحيب بهم:

خير ما يدل على محبة القائد للأفراد هو حسن استقبالهم، وإظهار الابتهاج بهم وإكرامهم والاستعداد للقائهم، وإظهار الشوق والفرحة بلقائهم؛ فقد كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يتخذ لباسًا خاصًا وخطيبًا يخطب بين يديه؛ إشعارًا منه بمزيد الاهتمام بهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال: من القوم أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة، قال: «**مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى... الحديث**». (١)

فكان يظهر صفاتهم رافعًا سقف التوقعات الإيجابية عنهم، فها هو لما قدم الأشعريون أهل اليمن عليه قال في حقهم: «**أتاكُم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدةً، وألينُ قلوبًا، الإيمانُ يَمانٍ، والحِكْمةُ يمانِيَةٌ**»(٢)

وكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يكتفي فقط بالترحيب والثناء، بل يتعداهما إلى المبالغة في الحفاوة والتقدير، فقد روي أنه لما وفد عليه وائل بن حجر رضي الله عنه أنه بشر به أصحابه قبل قدومه، فقال: «**يأتيكم بقية أبناء الملوك**». **فلما دخل رحب به، وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه، وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»**(٣).

وأحيانًا يعبر بعبارات أعمق من الترحيب، كما فعل مع صفوان بن عسال رضي الله عنه عندما جاء إليه وقال له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مرحبًا بطالب العلم؛ إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم على بعض حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب...**». (٤)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب: تحريض النبي -صلى الله عليه وسلم- وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم حديث، رقم (٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، (٤١٥٠).

(٣) البداية والنهاية، (٩٣/٥).

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٥٥/١)، ورواه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٥٩) بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٣١): رجاله رجال الصحيح.

فكان لهذه الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال الأثر العظيم في نفوس من يراه أول مرة؛ فتنجذب له وتتأثر به سريعًا، وتقبل عليه، وتعطي وتقدم للدين ما يفوق التوقعات.

إن أخطر ما ينبغي أن يخطط له القائد هو اللقاء الأول بأفراد مجموعته، وهذه مهارة قلَّ من يتقنها من القادة؛ فاللقاء الأول بين القائد والفرد هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقة بينهما طَوَالَ فترة العمل، وله دور كبير في كسر الحواجز النفسية بينهم.

أهم خطوات اللقاء الأول:

١- الترحيب بهم.

٢- حسن استقبالهم وإظهار الابتهاج بهم.

٣- التعرف على أسمائهم وأهم مهاراتهم.

٤- تقديم نفسه وتطلعاته بصورة جيدة، فلا يقدم نفسه بصورة فيها تعالي وتفخيم لذاته، ولا بإظهار إفلاسه المبكر بقوله مثلًا: أول مرة أتولى مثل هذا الأمر، أو لي تجربة فاشلة في مثل هذا العمل؛ مما ينعكس سلبًا على التصور المبدئي لقيادته.

٥- رفع سقف التوقعات فقد دلَّت التجارب أن الأفراد يجاهدون ويحرصون على تحقيق توقعات قادتهم الإيجابية، والعكس فلو توقع منهم الإخفاق فسيعطون أنفسهم رسائل سلبية تعوق تقدمهم بل سيبذلون جهدًا لتحقيق النتائج السلبية؛ لأن القائد أعلم منهم، فقد توقع صعوبة الأمر وعدم النجاح أو التميز فيه.

المبحث الثاني: ضوابط المحبة وأثرها في بناء المجتمع.

المطلب الأول: ضوابط المَحَبَّة في الإسلام.

الضابط الأول: الحُبّ في الله تعالى.

كان ﷺ يؤكد دائمًا أن الحُبّ ينبغي ألا يكون إلا فى الله وأن البغض ينبغى ألا يكون إلا لله تعالى، وجعل للحب والبغض ميزانًا، وحدَّ لهما حدودًا، حتى لا يضيع الناس بين حب أعمى وبغض عقيم، حيث قال ﷺ: فى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله ذكر منهم: «**ورجلان تحابّا في اللهِ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ اللَّهَ يقولُ يومَ القيامةِ: أينَ المُتحابُّونَ بجلالي؟ اليومَ أظلُّهم في ظلِّي، يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلِّي**»(٢).

وكان يدعو للحب فى الله ولكل ما يقوي الحُبّ، فنجده يقول: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُم**»(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «**أنَّ رجلًا زارَ أخًا لَهُ في قريةٍ أخرى، فأرصدَ اللَّهُ لَهُ على مَدرجَتِهِ ملَكًا، فلمَّا أتى عليهِ قالَ: أينَ تريدُ؟ قالَ: أريدُ أخًا لي في هذِهِ القريةِ. قالَ: هل لَكَ عليهِ من نعمةٍ تربُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحببتُهُ في اللَّهِ -عزَّ وجلَّ-. قالَ: فإنِّي رسولُ اللَّهِ إليكَ، بأنَّ اللَّهَ قد أحبَّكَ كما أحببتَهُ فيهِ**»(٤)، وفي الحديث القدسي يقول النبي ﷺ إن الله -تعالى- يقول يوم القيامة: «**أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الصدقة باليمين برقم: (١٣٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحُبّ في الله رقم (٢٥٦٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون رقم (١١٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة رقم (١٧٨٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحُبّ في الله رقم (٢٥٦٦).

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إن من عبَاد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى**». قالوا: يا رسول اللهِ، تخبرنا من هم، قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**». وقرأ هذه الآية: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[1]. [2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا**»[3]

وعن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ -تبارك وتعالى: «**حُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحُقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ بِمَكَانِهِمْ**» [4]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:" **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**"[5]

الضابط الثاني: الحزم في الحُبّ.

الحُبّ ليس مظهر ضعف وتردد بل مظهر قوة وحزم، وهذا ما رسخه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نفوس أصحابه وأهل بيته فالحُبّ عنده لا

(١) سورة يونس (آية:٦٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في زيارة الإخوان برقم (٢٠٠٨) وقال حسن غريب.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب: المتحابين في الله (٣٤٩/٤) بإسناد صحيح، والطبراني في معجمه الكبير (٤١٦/٨) رقم (١٦٥٨١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٨/١٠): رجال الطبراني وثقوا.

(٥) أخرجه الحاكم في (المستدرك على الصحيحين (١٥/١) رقم (٣).

يعني التجاوز عن الخطأ، ولا ترك عقاب المخطئ، كما أن حزمه معهم ليس من باب التنكيل بل من باب الإصلاح وتقويم السلوك.

ووصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ فقالت: "والله ما انتقم لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله، فينتقم لله بها"(١).

فكان ﷺ يختار العقوبة على حسب الخطأ وعلى حسب حال المخطئ، دون تهويل أو تهوين؛ فهو مع مصارحته لمعاذ بن جبل ﷺ بحبه له في أكثر من موقف، قد عاتبه عند ما شكاه رجل إلى النبي ﷺ قائلا: إن معاذًا يصلي معك ثم يرجع فيؤمنا يا رسول اللهِ، وإنما نحن أصحاب نواضح ونعمل بأيدينا، وانه جاء يؤمنا فقرأ بسورة البقرة فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ. فقال النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «**يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ، يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ، يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ، اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَنَحْوَهَا**».(٢)

وفي موقف النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من أسامة بن زيد –وهو حبه وابن حبه– عندما قال له مستنكرًا: «**أتشفع في حد من حدود الله؟!**». وذلك عندما جاء إليه شافعًا في المخزومية التي سرقت، بل إنه في هذا الحديث نفسه بين أن الحُبّ لا يعني ترك المحبوب بدون عقاب إذا اخطئ؛ حيث قام في الناس خطيبًا ثم قال: «**أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يسروا ولا تعسروا" رقم (٦١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: من لم يرَ إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا رقم (٥٧٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار رقم (٣٤٧٥) وفي كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان رقم (٦٧٨٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود رقم (١٦٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.

الضابط الثالث: لا إفراط ولا تفريط في الحُبّ.

فرَّط في الأمر يفرط بمعنى قصّر، وهو مأخوذ من مادة (ف ر ط) التي تدل على إزالة شيء عن مكانه، وتنحيته عنه. يقال: فرطت عنه ما كرهه، أي نحيته، هذا هو الأصل، ثم يقال: أفرط إذا تجاوز الحد في الأمر. (١)

قال الكفوي: الإفراط: التجاوز عن الحد ويقابله التفريط. (٢)

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٣) والوسطيّة الّتي هي سمة هذه الأمّة يضيّعها أمران: أحدهما: التّقصير وهو التّفريط، ثانيهما: العكس وهو الإفراط.

وكان حب النبي ﷺ لأصحابه بلا تفريط ولا إفراط، حيث منحهم حبه بلا استثناء ولم يتجاوز الحد في حبهم؛ فلم تدفعه محبته لأي منهم أن يعطيه أو يصفه بما لا يستحقه، ولم تمنعه محبته لهم من أن يرى تقصيرهم، ولم تدفعه إلى أن يسكت عن أخطائهم.

ولقد أرسى النبي ﷺ في نفوس أصحابه مبدأ الاعتدال في الحُبّ دون إفراط أو تفريط؛ فنهاهم عن جمود العاطفة وبين لهم أن الحُبّ لا ينافي الهيبة، وأنه ليس مظهرًا من مظاهر الضعف، وفى حديث الأقْرَع بن حَابِس رضى الله عنه خير دليل على ذلك؛ يقول أبو هريرة رضى الله عنه: قبل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الحسن بن على، وعنده الأقْرَع بن حَابِس التميمى جالسًا، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**مَنْ لا يَرْحمْ لا يُرْحَمْ**» (٤).

ثم بين لهم كذلك أن الحُبّ لا يعني الحُبّ الأعمى، فنهى عن المبالغة في الحُبّ التي قد ينتج منها ظلم للغير، وذلك بإعطاء المحبوب فوق ما يستحقه وفوق ما هو أهل له، وفى حديث النُّعْمَان بن بَشِير خير دليل على ذلك حيث قال: أعطاني أبي عَطِيةً، فقالت عَمْرَة بنت رَوَاحَة: لا أرضى حتى تُشهد رسول

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٠).

(٢) الكليات، للكفوي (١٥٥).

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته رقم (٥٩٩٧).

الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فأتى رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فقال: إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله. قال: «**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هذا؟**» قال: لا، قال: «**فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُم**» قال: فرجع فرد عَطِيَّتَه[(١)].

الضابط الرابع: الموازنة بين الحُبّ والعدل.

العدل من عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل، وهو خلاف الجَور، وهو القصد في الأمور، وما قام فى النفوس أنه مستقيم.[(٢)]

والعدل اصطلاحا هو: الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا.[(٣)]

وقيل هو: استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير.[(٤)]

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.[(٥)]

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾[(٦)].

قال السعدي: فالعدل الذي أمر الله به، يشمل العدل في حقِّه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة؛ بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقِّه وحقِّ عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كلُّ والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الهبة وفضلها، باب: الإشهاد في الهبة رقم (٢٤٤٧).

(٢) ينظر: الصحاح (١٧٦٠/٥)، لسان العرب (٤٣٠/١١).

(٣) التعريفات (ص ١٤٧).

(٤) تهذيب الأخلاق (ص ٢٨).

(٥) النساء: ١٦٥.

(٦) النحل: ٩٠.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقًّا، ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب). (١)

هذان خصمان اختصما في أرض عند الرسول ﷺ؛ أحدهما الأشعث بن قيس وهو من صحابة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والآخر يهودي، فأتيا إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليحكم بينهما، فلم يجد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمامه إلاَّ أن يطبِّق الشرع فيهما بدون محاباة ولا تحيُّز، فألزم الأشعث بن قيس وهو المدَّعِي أن يأتي بالبيِّنَة أو الدليل على أن الأرض له، فإن لم يأتِ بالدليل فيكفي أن يحلف المدَّعَى عليه -وهو اليهودي- على أنه لم يفعل ما يتَّهمه به المدَّعِي، فيُصَدَّقُ في ذلك.(٢)

إنه العدل مع الحُبّ يتجلى بصورة واضحة وقوية في هذه القصة فمحبة النبي ﷺ لأصحابه مقررة في كتب السنة، نص عليها النبي ﷺ في أكثر من مناسبة وأشهرها قوله ﷺ: " **لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**"(٣)، فمع أن الطرف الآخر صاحبه وحبيبه وله منزلة عالية في نفسه إلا أن عدله أوسع وأعظم.

كان النبى ﷺ يدعو إلى العدل ويرغب فيه حيث قال: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عند اللَّهِ على مَنَابِرَ من نُور، عن يَمِين الرحمن -عزَّ وجَلَّ- وَكِلْتَا يَدَيه يمين- الذين يَعْدِلُون في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»"(٤)

---

(١) تفسير الكريم الرحمن (ص ١٤٧).

(٢) القصة رواها البخاري في صحيحه، في كتاب الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا) رقم(٦٣٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: تحريم سبّ الصحابة رضي الله عنهم رقم (٤٧٣٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق رقم (١٨٢٧).

بل إن العدل من الأمور الأساسية التى بايع الناس عليها فى بداية الدعوة؛ وما ذلك إلا لعظم شأنه وأهميته، فعن عبادة بن الصامت –رضى الله عنه– قال: قَالَ: بَايَعْنَا رسول الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ (١).

فقائد البشرية بمثل هذه المواقف العظيمة يرسخ في أنفسنا معاني الحُبّ الحقيقي، فالقائد الذي يعطي الفرد درجات أو ثناء لا يستحقه، فيساوي بينه وبين من هو أجدر منه هو في الحقيقة يظلمه ويظلم الآخر، فالعدل بين الأفراد لا يعني المساواة بل يعني التمايز العادل بينهم، ليعيشوا بنفوس طيبة وقوية تتقبل انخفاض الدرجة عند التقصير، فيتعلموا من قادتهم هذه المعاني الكبيرة التي قد لا تظهر لهم في أثناء حدوث المواقف، فكم من أفراد أحبوا بعض القادة الغير ملتزمين والمتساهلين في التحضير بين من حضر مبكرًا وبين من دخل متأخرًا من الأفراد، ويوزعون الدرجات بكرم حاتمي بدون تدقيق، فلما ترقى الأفراد ومارسوا أعمال القيادة، عرفوا أن سبب كرمهم؛ لأنهم عرفوا تقصيرهم في متابعة التقويم والتطوير، فكان هذا مخرجًا لهم من تأنيب الضمير في ظنهم، وتلافيًا لشكوى فرد قد تثير الأنظار إليه من جهة أعلى فيعرفوا تقصيره.

الضابط الخامس: محبة الآخرين وحق النفس.

يقول الإمام الشاطبي في حق النفس: اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"(٢).

وحفظ الشريعة للمصالح الضرورية وغيرها يتم على وجهين، يكمل أحدهما الآخر، وهما: حفظها من جانب الوجود برعايتها وحفظها، والآخر من جانب العدم بإبعاد كل ما يخلها أو يعطلها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق رقم (٣٥١٤).

(٢) الموافقات (٣١/١).

ومع ما كان يوليه النبي ﷺ لأمته من المَحَبَّة وبذل الغالي والنفيس لهداية الناس ونفعهم، لم ينسَ حق نفسه كما أمره الله –تعالى– وذلك بالعمل على صيانتها مما قد يفسدها، والعمل على إصلاحها وتقويمها بكثرة العبادة دون تبتل، كما أنه كان يشبع حاجاته كإنسان دون إسراف وباعتدال وتوازن؛ فكان أكله لقيمات تقيم صلبه، ونومه ساعات معدودة يتقوى بها على العبادة.

وللنفس في الإسلام على صاحبها حقوق يجب عليه أن يرعاها:

١– ألا يفرط فيها، فهى ملك لله تعالى ولا يحق لصاحبها أن يؤذيها قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١)

٢– ألا يحملها فوق طاقتها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٢)،

٣– أن يوسع عليها، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (٣).

ومع هذا الالزام الإجباري بحفظ النفس؛ فإنه لا يعنى أن يغرق الإنسان فى الأنانية وحب الذات، فعليه أن يحميها من العوامل المادية الداخلية، ومن العوامل الخارجية المعتدية.

فالقائد المحب لمجال عمله لا يحمل نفسه فوق طاقتها بل يهتم بكل المقومات التى تكفل صحة نفسه وإسعادها، وذلك كله باعتدال وتوازن وفق ما أمر به الله تعالى؛ ليضمن بذلك استطاعته في بذل مزيد من الحُبّ والعناية والاهتمام بالأفراد والاستمرار على ذلك.

الضابط السادس: الحُبّ مع الاختلاف.

معنى الاختلاف هنا واسع كاختلاف اللون والمكانة والعادات والتقاليد والبيئات، وكذلك اختلاف الآراء والتوجهات نحو قضايا معينة لا مشاحة في الاختلاف فيها.

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) التغابن: ١٦.

والله تعالى جعل الناس مختلفين لحكمة عظيمة وهي أن كلًّا منهم يكمل الآخر يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[1].

فالإنسان الذي لا يميل إلا لمن يشبهه إنسان قاصر الفهم، والإنسان الذي لا يميل إلا لنوعه فهو إنسان متعصب؛ وهذه كلها تخالف ما جاء به الدين الإسلامي العظيم الذي نهى عن العصبية المقيتة، ودعا الإنسان ليستفيد من كل ما سخره الله له من مخلوقات من ضمنها الإنسان الآخر الذي قد لا يشبهه فكريًّا ولا اجتماعيًّا ولا اقتصاديًّا.

كان النبي ﷺ يبذل الحُبّ والاهتمام للناس على مختلف أشكالهم وألوانهم وأجناسهم، فلم تذكر كتب السيرة أنه فرق بين ضعيف وقوي في التعامل، أو بين غني وفقير، أو بين سيد وعبد، أو بين رجل وامرأة، أو بين كبير وصغير؛ فقد ساوى بينهم في حرصه ومحبته واهتمامه، أما ما ذكر من بذله لمزيد اهتمام بأحد معين فذلك تقدير منه لمصالح كبرى يعم نفعها الجميع.

ويوجد جانب آخر أعظم من الاختلاف في الجنس أو النوع، وهو الاختلاف في التوجه والسلوك وما مواقفه مع الأعراب في السنة النبوية إلا خير مثال على ذلك، فلم يكن يقيم الناس وفق ما يراه مقبولًا وجميلًا من الأخلاق والسلوكيات التي يرتضيها لنفسه، فالنبي ﷺ عُرف بشدة حيائه وورعه عن القبيح من السلوكيات قبل الإسلام وبعده، ومع ذلك كان رفيقًا بشارب الخمر، حيث تصدى للدفاع عنه عندما لعنه الناس قائلًا: «**إنه يحب الله ورسوله**»[2]، و كان ﷺ رفيقًا و ناصحًا للشاب الجريء الذي استأذنه في الزنا[3]، ولم يلقَ تصرفهما الذي ظاهره العصيان والتمرد من الرسول ﷺ إلا الحُبّ والود والنصح لهما.

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج عن الملة، حديث رقم (٦٧٨٠) عن عمر ﷺ..

(٣) أخرجه أحمد في مسنده رقم (٢٢٢١١) ، عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ

المطلب الثاني: أثر المَحَبَّة في بناء الفرد والمجتمع.

جاء النبي ﷺ بدين عظيم خالف فيه كثير من الأعراف والعادات السائدة، وجاء بدعوة غيرت مجرى التاريخ الإنساني كله، فكيف نجح في تنوير الناس وتعليمهم ونقلهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة؟ وكيف نجح في صياغة مجتمع متميز، وتخريج جيل قيادي ذي أخلاق ومقومات عالية، جيل قوي الشكيمة، صادق العزيمة، عالي الهمة؟

إنه أمر عظيم يحتاج من كل معلم إلى وقفة تأمل طويلة يسبر فيها هذا الإرث النبوي العظيم للتدرب على أعظم الممارسات التربوية والتعليمية وتطبيقها على واقعنا التعليمي.

فالنبي ﷺ كان يقود أمته ويوجهها بالحُبّ والعطف والعناية والرفق والمتابعة والتوجيه بعيدًا من الأوامر الجامدة والتعاليم الصارمة؛ فصاغ نموذجًا متميزًا للقيادة، **وظهرت آثار قيادته بالمَحَبَّة على واقع الأمة، ومن هذه الآثار:**

أولًا: بناء مجتمع حضاري

ظهر الإسلام في بلاد عربية يسود فيها المجتمع القبلي، قليل منهم من يعرف القراءة والكتابة فشرع النبي ﷺ في تعليمهم وحثهم على العلم، وأعلى من منزلة العلم والعلماء فكانت معرفة الله –تعالى– وتوحيده أول العلوم وأهمها؛ لأنه بالتوحيد ينتقل الإنسان من رق العبودية للأوثان والأهواء إلى توحيد الله جل وعلا، فدعاهم وحثهم على التفكر والتدبر في ملكوت الله لتحرير عقولهم ووجدانهم.

وشرع لهم من الأوامر والنواهي ما تصلح به المجتمعات؛ فأسس الكثير من الآداب في جميع مناحي الحياة أعظمها العلاقات الإنسانية وأدقها الأمور الفردية الخاصة.

فحارب الإسلام الجهل وقضى على الكثير من الخزعبلات التي كان منشؤها الجهل؛ فتقدم المسلمون في العصور الأوائل القريبة من عهد النبوة على غيرهم في كثير من العلوم كالعلوم الطبية والفلكية والاقتصادية والثقافة والآداب، وكانت كتبهم وما زالت مراجع لكثير من العلوم الغربية؛ لذا كان لزامًا على

لِأُمِّكَ؟»...الحديث، صحح إسناده شعيب الأرنؤوط وقال رجاله رجال الصحيح.

المسلمين العودة لدينهم، وتطبيق تعاليمه لتتحقق لهم العزة والنصر كما حصل لآبائهم الأوائل.

ثانيًا: القضاء على التميز العنصري

عامل النبي ﷺ أصحابه بمبدأ العدل والمساواة، وجعل ميزان المفاضلة بينهم تقوى الله؛ فلم يفرق بين كبير وصغير، أو بين رجل وامرأة، أو بين عبد وسيده، أو بين أحمر وأبيض، أو بين عربي وأعجمي، أو بين بدوي وحضري، جعل الجميع في صف واحد وكيان واحد؛ فكوَّن مجتمعًا جديدًا تسوده المَحَبَّة والمودة بعيدًا من الطبقية والتحزب، وجعل أخلاق الإنسان ومكارمه وعلمه هي من تسوده وليس إرثه أو نسبه، فأشعل روح التنافس بينهم، وقضى على الاتكالية، فأنشأ أمة عصامية تبني مجدها بنفسها، ولا تتكل على أمجاد سابقة.

ثالثًا: المحافظة على كيان الأمة

في سابقة عظيمة لم يسبق النبي ﷺ إليها أحد في أي عصر، آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار؛ فأسس أمة يسودها الحُبّ والإخاء، وأنشأ مجتمعًا متماسكًا قويًّا عماده الحُبّ والرحمة.

وقد جرت المؤاخاة مرتين الأولى بين المهاجرين أنفسهم وهم في مكة كمؤاخاة النبي ﷺ بين عمّه حمزة بن عبد المطلب القرشي النسب وبين مولاه زيد بن حارثة، والثانية بين المهاجرين والأنصار، وكان من بنود هذه المؤاخاة أن يقتسم الأنصاري ماله مع أخيه المهاجر، فأي تضحية عظيمة هذه، وأي دافع عظيم وراءها؟ إنه الحُبّ إذا تغلغل في القلب فاض على الجوارح؛ لذا وجّه النبي الكريم ﷺ دعوته إلى القلوب فتمكن منها، ثم انتقل إلى تقويم السلوك وتعديله، فما أعظمه من معلم ومربٍّ.

رابعًا: القضاء على الخلافات والعداوات

استطاع النبي ﷺ بتعامله الإنساني العظيم تكوين فريق رائع متآلف تسوده المَحَبَّة والأخوة؛ فآخى بين فريقين كانت بينهم حروب قائمة وعدوات كبيرة، وهم الأوس والخزرج وجعلهم يجتمعون تحت مظلة واحدة وهي نصرة الإسلام، فأطلق

عليهم لقب الأنصار، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار فجعل لكل مهاجر أخًا من الأنصار يأويه ويساعده بماله.

فتنافسوا جميعًا في التعلم والتقدم وحيازة الألقاب العظيمة لخدمة الأمة الإسلامية؛ فهذا أمين الأمة، وآخر حبر الأمة، وهذا قائد للجيش، وآخر سفير للأمة، وهذا معلم، وآخر قاضٍ، وهذا كاتب للوحي، وآخر قارئ ومترجم للغات الأخرى.

خامسًا: تغيير كثير من المفاهيم الخاطئة

لقد أثارت سيرة النبي ﷺ المهتمين بالعلوم والبحوث الإنسانية وبخاصة في مجال العلوم السلوكية، وبخاصة أسلوبه في تعديل سلوكيات من حوله وتوجيهها نحو خير الفرد والمجتمع بالحُبّ والرحمة والحزم والعدل بعيدًا من العنف والبطش.

فلقد استطاع النبي ﷺ بأخلاقه وحسن تعامله وقوة تأثيره وبعد تفكيره أن يؤثر في الناس؛ فغيّر الكثير من المفاهيم الخاطئة والعادات السيئة، وفي المقابل أقر الكثير من العادات الحسنة والمفاهيم الصحيحة؛ فأكد فضل صفات الكرم والشجاعة وإكرام الضيف والإحسان إلى الجار والغيرة على الأعراض، وغير هذه الصفات التي تحلى بها العرب قبله، ثم نهى عن قتل الولد خشية الفقر وعن شرب الخمر ولعب الميسر والربا وغيرها من المعاملات والأخلاق التي فيها تعدٍّ على النفس أو الغير، فأنشأ من حوله رجالًا هم مضرب الأمثال في الكرم والصدق والعدل والعزم والشجاعة.

سادسًا: إنشاء جيل واعد وقيادي.

لقد كان لهذه الأساليب التربوية القائمة على الحُبّ والتقدير دور كبير في بناء شخصية الصحابة، فلقد تخرج على يد النبي ﷺ كوكبة عظيمة لم يرَ التاريخ أعظم منها في النبل والتضحية والتلاحم والبذل والعطاء، ولا في التقدم السياسي والعسكري والعلمي والإيماني، كوكبة غيّرت مجرى التاريخ وغيرت خريطة العالم أجمع.

وتتلمذ على أيديهم كوكبة أخرى استقت منهم ما تعلموه وما غرسه النبي ﷺ حتى تباعدت الأزمنة وصار الناس ينظرون للأحاديث النبوية والوقائع التاريخية نظرة تشريف فقط دون تطبيق؛ فتجد لسان الواحد منهم يقول: الرحمة خلق عظيم حث عليه ديننا وعلّمنا إياه نبينا ﷺ وجوارحه تبطش وتضرب وتلطم وتشتم، وتجده يحث على الانضباط وعلى الصدق، وهو أبعد الناس عنهما، حتى ينظر لهذه الأمور الجميلة على إنها مثاليات لا يمكن تطبيقها.

الخاتمة

من خلال البحث في "محبة القائد للأفراد وأثرها في بناء الفرد والمجتمع في السنة النبوية" خلصت إلى عدد من النتائج والتوصيات جاءت على النحو الآتي:

أولًا: النتائج:

١- السنة النبوية زاخرة جدًّا بالمواقف والأساليب القيادية الناجحة.

٢- أن محبة القائد للأفراد لا تكون على إطلاقها، بل لها عدد من الضوابط التي نص عليها الإسلام.

٣- تنوع مظاهر القيادة بالمَحَبَّة في السنة النبوية حيث بلغت في هذا البحث تسعة مظاهر؛ سبعة منها المحبة فيها ظاهرة وأربعة منها المحبة شبه ظاهرة.

٤- الأثر العظيم المترتب على انتهاج أسلوب القيادة بالمَحَبَّة على الأفراد والمجتمعات.

ثانيا: التوصيات:

١- أهمية إعداد القادة إعدادًا جيدًا وتدريبهم على أهم المهارات والأساليب.

٢- أن تركز الأبحاث في السنة النبوية على إبراز المهارات الناعمة التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في إرساء قواعد دولته ونشر رسالته.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري "**النهاية في غريب الحديث والأثر**". تحقيق: محمد الزاوي ومحمود الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ).
- الأزهري، محمد بن أحمد "**تهذيب اللغة**". تحقيق: محمد عوض. (الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١).
- الأصبهاني، الراغب "**الذريعة إلى مكارم الشريعة**". تحقيق: أبو اليزيد العجمي. (القاهرة: دار السلام. ١٤٢٨هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، "**الجامع الصحيح**". تحقيق: محمد زهير الناصر. (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- الترمذي، محمد بن عيسى "**الجامع الصحيح**". تحقيق: أحمد شاكر. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- الجرجاني، علي بن محمد "**التعريفات**". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. "**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**". (الطبعة الثانية. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩).
- حجازي، أحمد توفيق "**في حب الكلمة الطيبة**". (الطبعة الأولى، الأردن: دار كنوز المعرفة. ٢٠١٥).
- الحاكم، محمد بن عبد الله "**المستدرك على الصحيحين**". تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).
- ابن حبان، محمد البستي "**الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**". ترتيب: علي بن بلبان. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧)
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**". (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
- الحربي، إبراهيم بن إسحاق "**غريب الحديث**". تحقيق: سليمان العابد. (الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ).

– ابن حنبل، أحمد "**المسند**". تحقيق: شعيب الأرنؤوط (الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ)

– الخطابي، حمد بن محمد "**معالم السنن شرح سنن أبي داود**". تحقيق: أحمد شاكر. (دط، بيروت: دار المعرفة، دت).

– أبو داود، سليمان بن الأشعث "**سنن أبي داود**". تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).

– الزمخشري، محمود بن عمر "**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**". (الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

– السعدي، عبدالرحمن بن ناصر "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**". تحقيق: عبدالرحمن اللويحق. (الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

– الشاطبي، إبراهيم بن موسى "**الموافقات**". تحقيق: مشهور آل سلمان. (دار ابن عفان. ١٤١٧هـ).

– ابن أبي شيبة، أبي بكر "**المصنف في الأحاديث والآثار**". تحقيق: كمال الحوت. (الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ).

– ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن "**علوم الحديث**". تحقيق: نور الدين عتر (سوريا: دار الفكر. ١٤٠٦).

– الصنعاني، عبد الرزاق بن همام "**المصنف**". تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ)

– الطبراني، سليمان بن أحمد "**المعجم الأوسط**". تحقيق: طارق عوض وعبد المحسن إبراهيم. (القاهرة: دار الحرمين. ١٤١٥هـ).

– الطبراني، سليمان بن أحمد "**المعجم الكبير**". تحقيق: حمدي السلفي. (الطبعة الثانية، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ).

– ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله "**جامع بيان العلم وفضله**". تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. (الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ).

– عبد الحميد عمر، أحمد مختار "**معجم اللغة العربية المعاصرة**". بمساعدة فريق عمل (الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب ١٤٢٩هـ).

العثيمين، محمد بن صالح "**شرح رياض الصالحين**". (دط، الرياض، دار الوطن، ١٤٢٦هـ).

– ابن فارس، أحمد الرازي "**معجم مقاييس اللغة**". (الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ).

– الفيومي، أحمد بن محمد "**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

– القرطبي، أحمد بن عمر "**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**". تحقيق: محي الدين ديب، أحمد السيد، يوسف بديوي، محمود بزال. (الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٧هـ).

– ابن قيم الجوزية، محمد الزرعي "**مدارج السالكين**". تحقيق: محمد الفقي. (الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ).

– ابن كثير، إسماعيل بن عمر "**البداية والنهاية**". تحقيق: عبدالله التركي. (الطبعة الأولى، دار هجر، ١٤١٨هـ).

– الكفوي، أيوب بن موسى "**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية**". تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١٠هـ).

– الكيلاني، نجيب. "**التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**". (بيروت: مؤسسة الرسالة).

– ابن ماجه، محمد القزويني "**السنن**". تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (الطبعة الأولى، بيروت: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).

– مالك، بن أنس الأصبحي "**الموطأ**". تحقيق: تقي الدين الندوي. (الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ).

– المبرد، محمد بن يزيد "**الكامل في اللغة والأدب**". تحقيق: محمد أبو الفضل. (الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الفكر العربي. ١٩٩٧هـ).

– مجممي، ناصر محمد "**أنماط القيادة في بعض المؤسسات الصناعية الخاصة**". (الرياض: جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير. ١٤٢٤هـ).

– مسلم، بن الحجاج النيسابوري "**صحيح مسلم**". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (بيروت: دار إحياء التراث).

– المناوي، عبد الرؤوف "**فيض القدير شرح الجامع الصغير**". تحقيق: حمدي الدمرداش. (الطبعة الأولى، مكة: مكتبة الباز. ١٤١٨هـ).

– ابن منظور، محمد مكرم "**لسان العرب**". (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ).

– النسائي، أحمد بن شعيب "**سنن النسائي**". تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. (الطبعة الثانية، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ).

– الهيثمي، علي بن أبي بكر "**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**". تحقيق: حسام القدسي (القاهرة: مكتبة القدسي. ١٤١٤هـ)

– أبو يعلى، أحمد بن علي "**المسند**". تحقيق: حسين أسد. (الطبعة الأولى، دمشق: دار المأمون للتراث. ١٤٠٤هـ).

References :

- aibn al'athira, almubarak bin muhamad aljazarii "alnihayat fi ghurayb alhadith wal'athr". tahqiqu: muhamad alzaawi wamahmud altanahi. (biruti: almaktabat aleilmiatu, 1399hi).
- al'azhari, muhamad bin 'ahmad "tahdhib allughati". tahqiqu: muhamad eiwad. (altabeat al'uwlaa, bayrut: dar 'iihya' alturath alearabii, 2001).
- al'asbhani, alraaghib "aldharieat 'iilaa makarim alsharieati". tahqiqu: 'abu alyazid aleajami. (alqahirata: dar alsalam. 1428hi).
- albukhari, muhamad bin 'iismaeila, "aljamie alsahihu". tahqiqu: muhamad zuhayr alnaasir. (ta1, bayrut: dar tawq alnajati, 1422hi).
- altirmidhi, muhamad bin eisaa "aljamie alsahihu". tahqiqu: 'ahmad shakiri. (birut: dar 'iihya' alturath alearabii).
- aljirjani, ealiun bin muhamad "altaerifati". (ta1, bayrut: dar alkutub aleilmiati, 1403hi).
- aljawhari, 'iismaeil bin hamaad (1979). alsihah taj allughat wasihah alearabiati. altabeat althaaniatu. bayrut: dar aleilm lilmalayini.
- hijazi, 'ahmad tawfiq "fi hubi alkalimat altayibati". (altabeat al'uwlaa, al'urdunu: dar kunuz almaerifati. 2015).
- alhaakum, muhamad bin eabbd allah "almustadrak ealaa alsahihin". thaqiq: mustafaa eabd alqadir eataa. (altabeat al'uwlaa, bayrut: dar alkutub aleilmiati, 1411hi).
- abn hibaan, muhamad albasti "al'iihsan bitartib sahih abn hibana". tartiba: ealiin bin bilban. (altabeat al'uwlaa, bayrut: dar alfikri, 1417)

- abn hajara, 'ahmad bin ealii aleasqalanii "fath albari sharh sahih albukharii". (birut: dar almaerifati, 1379hi).
- abn hanbula, 'ahmad "almusanadi". tahqiqu: 'ahmad shakir (alqahirata: dar alhadithi. 1995h)
- 'abu dawud, sulayman bin al'asheath "snan 'abi dawud". tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn. (birut: dar alfikri).
- alshaatibi, 'iibrahim bin musaa "almuafiqat". tahqiqu: mashhur al salman. (dar abn eafan. 1417hi).
- aibn alsalahi, 'abu eamrw euthman bin eabd alrahman "eulum alhudithi". tahqiqa: nur aldiyn eatr (surya: dar alfikri. 1406).
- alsaneani, eabd alrazaaq bin humam "almusanafi". tahqiqu: habib alrahman al'aezami. (altabeat althaaniatu. bayrut: almaktab al'iislamia, 1403h)
- altabarani, sulayman bin 'ahmad "almuejam al'awsata". tahqiqu: tariq eawad waeabd almuhsin 'iibrahim. (alqahirati: dar alharmayni. 1415h).
- altabrani, sulayman bin 'ahmad "almuejam alkabiri". tahqiqu: hamdi alsalafi. (altabeat althaaniatu, almusilu: maktabat aleulum walhakmi, 1404h)..
- eabd alhamid eumra, 'ahmad mukhtar " muejam allughat alearabiat almueasirati". bimusaeadat fariq eamal (altabeat al'uwlaa, bayrut: ealim alkutub 1429hi)
- abn fars, 'ahmad alraazi "muejam maqayis allughati". (altabeat al'uwlaa, bayrut: dar alkutub aleilmiati, 1420hi).
- alfiuwmi, 'ahmad bin muhamad "almisbah almunir fi ghurayb alsharh alkabiri". (birut: dar alkutub aleilmiati, 1414hi).

- alqurtibiu, 'ahmad bin eumar "almifham lama 'ushakil min talkhis kitab muslimin". tahqiqu: muhi aldiyn diba, 'ahmad alsayida, yusif bidiwi, mahmud bizal. (altabeat al'uwlaa, bayrut: dar aibn kathir, 1417hi).
- abn qiam aljawziati, muhamad alzareii "mdarij alsaalikin". tahqiqu: muhamad alfaqi. (altabeat althaaniatu, bayrut: dar alkitaab alearabii, 1393hi).
- alkufawi, 'ayuwb bin musaa "alkuliyaat muejam fi almustalahat walfuruq alllughwy". tahqiqu: eadnan darwish wamuhamad almasri. (birut: muasasat alrisalati, 2010hi).
- alkilani, najib. "altaasil al'iislamii lildirasat alnafsiiti". (birut: muasasat alrisalati).
- abn majahi, muhamad alqazwinii "alsinin". tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi. (birut: dar alfikri).
- maliku, bn 'anas al'asbahii "almuta". tahqiqu: taqi aldiyn alnadawii. (altabeat al'uwlaa, dimashqa: dar alqalama, 1413hi).
- almubardi, muhamad bin yazid "alkamil fi allughat wal'adbi". tahqiqu: muhamad 'abu alfadala. (altabeat althaalithatu, alqahiratu: dar alfikr alearbii. 1997hi).
- mujamimi, nasir muhamad "'anmat alqiadat fi baed almuasasat alsinaeiat alkhasati". (alriyad: jamieat almalik saeud, risalat majistir. 1424h).
- muslama, bn alhajaaj alniysaburiu "sahih muslima". tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi. (birut: dar 'iihya' altarath).

- almanawi, eabd alrawuwf "fid alqadir sharh aljamie alsaghiri". tahqiqu: hamdi aldamardash. (altabeat al'uwlaa, makat: maktabat albaz. 1418h).
- abn manzurin, muhamad makram "lisan alearibi". (birut: dar sadir, 1388h).
- alnasayiyi, 'ahmad bin shueayb "snan alnisayiyi". tahqiqu: eabd alfataah 'abu ghudata. (altabeat althaaniatu, halba: maktab almatbueat al'iislamiati, 1406h).
- alhaythami, ealiu bn 'abi bakr "majmae alzawayid wamanbae alfawayidi". (birut: dar alfikri. 1412h)
- 'abu yaelaa ،'ahmad bin ealiin "almusandi". tahqiqu: husayn 'asad. (altabeat al'uwlaa, dimashqa: dar almamun liltarath. 1404hi).